العوامل المؤثّرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

د. الشيخ أسعد علي السلمان*

مقدّمة

إنّ كل حركة رسالية ـ وحيانية كانت أو غير وحيانية ـ لا بدّ أن تمتلك مجموعة من الوسائل الإعلامية التي تمكّنها من إيصال مضامينها التي تؤمن بها إلى الناس، كما أنّها تسعى دائماً إلى تهذيب هذه الوسائل، وجعلها تدور حول هدفها أو أهدافها التي كانت سبباً في وجودها. وبما أنّ الدين الإسلامي ليس بمعزل عن هذه السنّة الاجتماعية، فقد امتلك بدوره وسائل إعلامية عدّة، كان من أهمّها المنبر التبليغي الذي منحه القرآن الكريم لأعظم شخصية إسلامية، ألا وهي شخصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[(١)]، ويقول أيضاً: ﴿... وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٢)].

ثمّ توالت ـ بعد ذلك ـ المراحل التي مرّت بها هذه الوسيلة الإعلامية، وصولاً إلى سنة (٦١هـ) التي تحرّك فيها سيّد الشهداء عليه السلام، صادحاً بدعوة الحقّ، وداعياً إلى إحياء سنّة جدّه محمد صلى الله عليه وآله، بعد محاولات طمسها وتشويهها من قبل الحكّام الجائرين

---

* باحث إسلامي، وأُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية/ من العراق.

(١) المائدة: آية٦٧.

(٢) النحل: آية٤٤.

من بني أُميّة، فإنّه بعد استشهاده عليه السلام في واقعة الطفّ المروّعة أصبح للمنبر التبليغي ـ الذي أُطلق عليه أيضاً المنبر الحسيني ـ حضور واسع ودور كبير في إيصال المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ومظلومية أهل البيت عليهم السلام. ولأهمّية هذه الوسيلة الإعلامية في حياة الناس، وصيرورتها جزءاً لا يتجزّأ من الواقع الإسلامي الشيعي؛ فقد انبرى مجموعة من المحقّقين إلى الحديث عنها، كلٌّ بحسب زاويته الخاصّة، وبحسب الفراغ الذي يرى ضرورة ملئه من خلال ما يقوم به من دراسة.

هذا، ونحن في المقام نودّ الخوض في حديث مهمّ نسعى من خلاله إلى حفظ كيان هذه الوسيلة الإعلامية، وإلى جعلها ذات فعّالية كبيرة في إرساء التعاليم الإسلامية في المجتمع الإنساني؛ وذلك من خلال تشخيص جملة من العوامل التي تؤدّي إلى تضييع أو تشويه الهدف المفترض ترتُّبه على هذه الوسيلة الإعلامية، مع إبداء بعض المعالجات في المقام.

ولكي نتمكّن من إيصال فكرة هذا المقال إلى القارئ الكريم بشكل جيّد، سوف نقسّم الحديث في المقام على تمهيد نقف فيه على بيان المراد من المنبر، والمراحل التاريخية التي مرّ بها، والأركان الرئيسة التي يتألّف منها، ثمّ نجعله في ثلاثة محاور رئيسة نقف فيها على دور كل من: المبلِّغ، والمادة التبليغية، والجمهور، والأوضاع التي تحيط بالمنبر، في تضييع أو تشويه الهدف الرسالي لهذه الوسيلة الإعلامية المهمّة.

التمهيد

النقطة الأُولى: بيان المراد من المنبر لغةً واصطلاحاً

أمّا لغةً فقد ذكر الفراهيدي: «النبر بالكلام: الهمز، وفي الحديث: أنّ رجلاً قال: يا

نبي الله. فقال النبي صلى الله عليه وآله: **لا تنبر باسمي، أي: لا تهمز. وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره**»[1]، وقال الجوهري: «**نبرت الشيء أَنبِره نبراً: رفعته، ومنه سُمّي المنبر. ونبرةُ المغنّي: رفعُ صوته عن خفض...**»[2]، إلى غير ذلك من كلمات اللغويين التي يتّضح منها أنّ مفردة المنبر لها دلالة على الارتفاع والعلو عن الأرض.

أمّا المعنى الاصطلاحي للمنبر فلم يخرج عن المعنى اللغوي أعلاه، قال الشيخ الصدوق قدس سره: «**فإذا فرغت من الصلاة فاجتهد في الدعاء، ثمّ ارقَ المنبر، فاخطب بالناس إن كنت تؤمّ الناس**»[3]، وقال الشيخ الطوسي قدس سره: «**وينبغي أن يقوم الإمام في حال الخطبة على شبه المنبر معمول من طين**»[4]. وللتلازم المشاهَد بين المنبر والخطبة الدينية نجد أنّ بعضهم ساوى بين المنبر والخطابة الدينية في المعنى الاصطلاحي[5].

هذا، ونجد أنّ مفردة (المنبر) بعد التطوّر الإعلامي الذي حدث في العالم العربي، أصبحت تُطلَق على كل وسيلة إعلامية تهدف إلى إيصال رسالة معيّنة إلى الجمهور، فيقال ـ مثلاً ـ: إنّ هذه القناة الفضائية، أو الصحيفة الفلانية منبر حرّ لإيصال صوت الحقيقة إلى الناس.

النقطة الثانية: مكانة المنبر في تحقيق الهدف الرسالي للدعوة الإسلامية والمراحل التاريخية التي مرّ بها

إنّ الدعوة الإسلامية تمتلك رسالة سماوية يسعى ممثّلوها إلى إيصالها إلى عموم

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج٨، ص٢٦٩.
(٢) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٢، ص٨٢١.
(٣) ابن بابويه القمّي، علي، فقه الرضا عليه السلام: ص١٣٢.
(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط: ج١، ص١٧٠.
(٥) أُنظر: مطهّري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص١٩٩.

البشر، وفي كل الأزمنة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾(١)، وهذه الرسالة الإسلامية، هي عبارة عن القرآن الكريم وما يشتمل عليه من مضامين دينية ودنيوية، يسعى من خلالها إلى هداية الإنسان ـ ببعديه الفردي والاجتماعي ـ وإخراجه من الظلمات إلى النور. كما أنّ مهمّة تبليغ هذه الرسالة أُوكلت ـ بالدرجة الأساسية ـ إلى الرسول الكريم محمدﷺ؛ إذ يقول عزّ من قائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

ومن هنا؛ يتّضح لنا أنّ المنبر الديني (الإسلامي) كانت بدايته على يد الرسول الكريم محمدﷺ، فقد ورد في الأثر: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ...: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي غُلَاماً نَجَّاراً أَفَلَا آمُرُهُ يَتَّخِذْ لَكَ مِنْبَراً تَخْطُبُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَاتَّخَذَ لَهُ مِنْبَراً، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ خَطَبَ عَلَى الْمِنْبَرِ...**»(٣). إنّ هذه الرواية ـ في الحقيقة ـ قد تطرّقت إلى بدايات صناعة المنبر (مكان إلقاء الخطبة والمواعظ)، إلّا أنّ أصل بداية مشروع المنبر الرسالي للرسولﷺ ـ الذي هو مقصودنا في المقام ـ كانت من أوّل لحظة لنزول القرآن.

ثمّ إنّه بعد واقعة الطفّ المروّعة سنة (٦١هـ)، وبعد ملاحظة ارتباطها بصميم المشروع التغييري الإلهي(٤)، نجد أنّ المنبر الرسالي قد أخذ دوراً كبيراً في هذه النهضة؛ وذلك من خلال إقامة مجالس ذكر مصائب أهل البيت(عليهم السلام)، وما جرى عليهم من

(١) الأنعام: آية١٩.
(٢) النحل: آية٤٤.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢١، ص٤٧. وقد اختلفت الروايات في تحديد اسم الشخصية التي قامت بصناعة منبر الرسولﷺ. اُنظر في هذا الصدد: السمهودي، علي بن أحمد، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ج٢، ص٣٩١.
(٤) اُنظر: الهاشمي، السيّد كامل، أُصول المحاضرات: ص١٣.

محن ونكبات، ونتيجة لذلك قد أُطلقت على هذه الوسيلة الإعلامية تسمية المنبر الحسيني؛ وذلك للتماهي الحاصل بين الحركة الرسالية التي قادها رسول الإنسانية محمدصلى الله عليه وآله وبين الحركة الثورية والتغييرية التي قادها أبو عبد الله الإمام الحسينعليه السلام.

وكانت المنابر الحسينية في بدايتها عبارة عن مآتم للبكاء على الإمام الحسينعليه السلام وأهل بيته وصحبه، وقد شرعت في نفس يوم العاشر من المحرّم سنة (٦١هـ)، واستمرّت بعد ذلك بالتزامن مع مسيرة سبايا واقعة الطفّ من كربلاء إلى الكوفة، ومن بعدها إلى الشام، وانتهاءً بالمدينة المنوّرة، وقد أطلق عليها بعضٌ: (المآتم العفوية)[١]، في مقابل (المآتم الهادفة) إلى الحفاظ على نتاجات واقعة الطفّ، وعدم اندثارها بتقادم الأزمنة، فقد أصبحت المآتم الحسينية ذات شكل جديد، وتتم إقامتها بعد تهيئة وإعداد سابقين، وهذه المآتم هي الأساس لما نشاهده اليوم من ظاهرة المنبر الحسيني[٢].

نعم، اختلفت الآراء في تحديد بداية تشكُّل مثل هذا النوع من المآتم بين أن يكون المؤسّس لها التوّابين، أو البويهيين، أو خصوص الإمام زين العابدينعليه السلام، أو عموم أئمّة أهل البيتعليهم السلام[٣]. وبغضّ النظر عن هذا الاختلاف فإنّا نجد أنّ المنبر الحسيني الحالي، الذي تطوّرت معالمه بشكل كبير عن بداية تأسيسه[٤]، أصبح يُشكّل في هذه الأزمنة «**وسيلة من وسائل الإعلام الإسلامي الفاعلة في الدعوة والإرشاد والتبليغ، والمؤثّرة في أبناء المجتمع عموماً، والمجتمع الإسلامي خصوصاً**»[٥].

(١) أُنظر: الكاظمي، فيصل، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره ومراحل تطوّره: ص٤٧ـ ٥٧.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٧.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٧ـ ١٠٤.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص١٥٧.
(٥) المقدّس الغريفي، السيّد محمود، فقه الإعلام (المنبر الحسيني نموذجاً)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢، ص١٩١.

النقطة الثالثة: ركائز المنبر الحسيني

قبل الدخول في الأبحاث الأساسية لهذا المقال، ينبغي لنا تشخيص محالّ السلبيات المبحوث عنها، وهي عبارة عن ركائز المنبر الحسيني، فقد ذُكرت في المقام مجموعة من الركائز، هي:

١ـ الإعلامي أو المُلقي.

٢ـ المخاطَب.

٣ـ الرسالة.

٤ـ وسيلة الارتباط[١].

وقد أضاف بعضٌ ركيزتين أُخريين هما:

١ـ المحيط.

٢ـ وردّ فعل المتلقّي[٢].

ويمكن تقليص هذه الركائز ـ فيما يخصّ بحثنا حول المنبر ـ في ثلاثة، هي: (المُلقي، الرسالة، المحيط)؛ وذلك لأنّ المخاطَب (المتلقّي) وردّ فعله هما في الحقيقة يُشكّلان المحيط الذي يواجهه المنبري أثناء تأدية مهمّته التبليغية، أمّا وسيلة الارتباط فليست ركيزة من ركائز المنبر، بل هي من ركائز الإعلام الحسيني بشكل عام.

ومع ملاحظة هذه الركائز الثلاثة فإنّ بحثنا في هذا المقال سيكون في ثلاثة محاور رئيسة.

---

(١) أُنظر: المقدّس الغريفي، السيّد محمود، فقه الإعلام (المنبر الحسيني نموذجاً)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢، ص١٧٣. حسين زاده، أحمد، منبر، نقش ارتباطات وعوامل اجتماعي مؤثّر در تبليغ جهره به جهره، (المنبر، دور العلاقات والعوامل الاجتماعية في التبليغ المشافهي)، مجلّة معرفة: العدد٧٢، ص٧٢.

(٢) أُنظر: حسين زاده، أحمد، منبر، نقش ارتباطات وعوامل اجتماعي مؤثّر در تبليغ جهره به جهره، (المنبر، دور العلاقات والعوامل الاجتماعية في التبليغ المشافهي)، مجلّة معرفة: العدد٧٢، ص٧٢.

المحور الأوّل: العوامل المتعلّقة بالمُلقي والمؤدّية إلى تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

إنّ المُلقي الذي يرتقي المنبر الحسيني، أو خادم المنبر الحسيني على حدّ تعبير بعضٍ ـ سواء كان خطيباً أو رادوداً أو شاعراً ـ يجب أن يعي قبل كل شيء أنّ مهمّته تتجلّى في بُعدين أساسيين، هما:

١ـ ديني تعبّدي، وذلك من خلال تقرّبه بهذه الخدمة الجليلة إلى الله تعالى؛ لينال السعادة في الدارين.

٢ـ تثقيفي تربوي، وذلك من خلال المهمّة الرسالية التي أُوكلت إليه، والمتمثلة في هداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

وبالتالي يتحتم عليه دوماً أن يسعى إلى المحافظة على البقاء في دائرة هذين البُعدين، اللذين يترتّب أحدهما على الآخر، وأن يعي أنّ طريقه هذا ليس سهلاً، فهناك جملة من العوامل والمؤثّرات السلبية التي تؤدي إلى حرف خادم المنبر عن المهمّة التي هو بصدد إنجازها فيما لو تحققت، وسيتم التطرُّق إلى هذه العوامل والمؤثّرات في النقاط الآتية:

النقطة الأُولى: عدم اهتمام المُلقي بالغرض من الفن الذي يمارسه على المنبر الحسيني

ما يُلقى على المنبر الحسيني ينحصر في فنّين لا ثالث لهما، وهما: الخطابة والشعر؛ وذلك لأنّ الذي يرتقي المنبر ـ بحسب الغالب ـ هو الخطيب الذي ينشد الشعر والمراثي الحسينية في نهاية خطبته، أو في بدايتها في بعض الأحيان، أو هو الرادود الذي يتمحّض دوره في إنشاد الشعر بطرق خاصّة، وكل واحد من هذين الفنّين له غرض أساس.

إنّ الغرض الأساسي بالنسبة إلى الخطابة هو إيجاد حالة الإقناع لدى

السامعين[1]، وزاد بعضهم ضرورة استمالة الخطيب لنفوس الحضور إلى العمل بما يقول، وترك ما ينهى عنه[2]، أمّا الشعر الذي هو «**كلام مخيّل مؤلّف من أقوال موزونة متساوية مقفّاة**»[3] فهو بدوره يمتلك غرضاً أساسياً يتمثّل في التأثير في النفوس لإثارة عواطفها[4]. وبما أنّ لكل واحد من هذين الغرضين المذكورين قضاياه وموادّه الخاصة به[5]؛ ينبغي للمنبري أن يكون عارفاً بتلك القضايا، وبكيفية الاستفادة منها، فعدم معرفته ـ وأخصّ هنا الخطيب المنبري ـ بذلك، أو عدم اهتمامه به، يؤدّي إلى نفور الناس عنه، وعدم استفادتهم منه، فالخطيب الذي يصبّ كل اهتمامه على البراهين المعتمدة على اليقينيات والقياسات المنطقية لإثبات مطلوبه، يُبعد مستمعيه عن الهدف الأسمى من منبره، فإنّ «**الجمهور... ليس له الصبر على التأمّل والتفكير ومحاكمة الأدلّة والبراهين**»[6]، ومع نفرة الجمهور وعدم قناعته بما يقوله الخطيب، سوف يبتعد عن الهدف الرسالي الذي من المفترض ترتّبه على منبره الحسيني؛ وذلك لتأثّره بالتيّارات والتوجّهات المقابلة بسبب ما تحمله من مغريات وعبارات برّاقة، وكذلك لعدم تمييزه الدقيق بين الأفكار الصحيحة والسقيمة[7].

ومن هنا؛ فإنّ الخطيب الناجح هو مَن يضع الأُمور فيما يناسبها، فيجعل مجال الخطابة هو الإقناع وجذب النفوس إلى الالتزام والطاعة، ويسعى إلى الاستفادة

---

(١) كل مَن ذكر التعريف الاصطلاحي للخطابة، قد أخذ هذا القيد فيه. أُنظر في هذا الصدد: المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٢ ـ ٤٢٤. محفوظ، علي، فنّ الخطابة وإعداد الخطيب: ص١٣. أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي: ص٧ ـ ١١.

(٢) أُنظر: محمد عمارة، محمود محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق: ص٩.

(٣) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٦٢.

(٤) أُنظر: المصدر السابق.

(٥) تعتمد الخطابة على القضايا التي هي من نوع المظنونات، أو المقبولات، أو المشهورات، أمّا الشعر فهو يعتمد على المخيّلات من القضايا. أُنظر: المصدر السابق: ص٤٢٧، وص٤٦٥.

(٦) المصدر السابق: ص٤٢٢.

(٧) أُنظر: المصدر السابق.

من جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الغرض، من البراهين الواضحة والمقبولة والقصص والأمثال والشواهد التاريخية المعروفة والمشهورة بين الناس.

النقطة الثانية: انجرار المُلقي وراء المنافع والمكاسب الدنيوية

عندما نطالع الآيات القرآنية الشريفة نجد أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا بمنأى كبير عن طلب الأجر والمكسب على تبليغهم لرسالات ربّهم، فنجد ـ مثلاً ـ أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، قد تكرّر كثيراً على لسان كل من: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام). ثمّ إنّه حتى النبيّ الخاتم محمد صلى الله عليه وآله عندما أمره عزّ وجلّ أنّ يسأل قومه المودّة في القربى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2]، لم يكن سؤاله هذا راجعاً إلى مصلحة دنيوية له أو لأهل بيته عليهم السلام، وإنّما ترجع منفعته إلى الناس أنفسهم، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾[3]، والسبب في ذلك هو أنّ المودّة لذوي القربى ترتبط بمفهوم الإمامة والولاية، وهو عبارة عن استمرار خط النبوة الذي هو ضروري لدوام هدايتنا نحن المسلمين[4]، وباعتبار أنّ خط المنبر الحسيني هو خط رسالي؛ يجب لذلك أن يبتعد عن السعي الحثيث إلى طلب الأجر.

إنّنا لا نسعى هنا إلى إثبات حكم شرعي فيما يخصّ أصل أخذ الأُجرة؛ فهذا ما تتكفّل به الكتب الفقهية لمراجعنا العظام، وإنّما القصد من ذلك أنّ الخطيب لا ينبغي أن يكون سعيه وهمّه الأساسي من مجلسه الحسيني هو جمع الثروة، فإنّ الهدف الرسالي المفترض ترتّبه على المنبر سوف يتغيّر في أعين الناس، فبدلاً من كونه امتداداً

(١) الشعراء: آية١٠٩.
(٢) الشورى: آية ٢٣.
(٣) سبأ: آية ٤٧.
(٤) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، (وآخرون)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٣، ص٤٨٧.

للرسالة المحمّدية فإنّه سوف يصبح وسيلة للرزق وطلب المال، وعليه تسقط القيم والمبادئ الدينية في منحدر المادة الدنيوية الدنية، استناداً إلى قاعدة اليد العليا خير من اليد السفلى[1].

ونحن بالدرجة نفسها التي نشدّ بها على أيدي الخطباء ليجنّبوا منابرهم أن تكون وسيلة لطلب الثروة، نشيد بالدعم الذي تقدّمه بعض المؤسسات ومكاتب العلماء للمبلّغين، وندعوهم إلى المزيد من الرعاية والاهتمام، باعتبارهم الداعم الأساسي للمؤسسة التبليغية في مختلف المجالات، وذلك بأن يؤمّنوا لهم ما يسدّ حاجتهم، ويحفظ لهم مكانتهم وكرامتهم بين الناس، فقد قال سيّد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام: «...**والفقر يُخرس الفطن عن حجّته، والمُقل غريب في بلدته**»[2]، وبما أنّ المبلّغ الحسيني في مواجهة مباشرة مع الجمهور؛ ينبغي أن يكون قادراً على هذه المواجهة، وهذا لا يتأتى مع فقره وحاجته وعدم قدرته على تلبية متطلّبات الحياة الضرورية.

النقطة الثالثة: عدم تحلّي المبلّغ الحسيني بالفضائل الأخلاقية

ينبغي للمتصدّي للعملية التبليغية أن يكون متّصفاً بالفضائل الأخلاقية[3] التي تؤهّله لأن يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[4]، فهذه الفضائل ـ في حقيقة الأمر ـ هي صفات ينبغي أن يتحلّى بها المؤمن العادي، فكيف بمَن يتولّى مهمّة إرشاد الناس ونُصحهم،

(١) أُنظر: الكندي، حسن، طريق الخطابة الحسينية: ص٢٥٨.

(٢) صالح، صبحي، تحقيق نهج البلاغة: ص٤٦٩.

(٣) والتي هي من قبيل: الإيمان والاعتقاد بما يقوله، العمل بما يقوله ويؤمن به، تقوى الله وخشيته، الإخلاص في مقام القول والعمل، حسن القول في الدعوى والإرشاد، مراعاة مشاعر الآخرين في القول والعمل، صفاء النفس وحسن الظن بالآخرين، التواضع وعدم التكبر والعجب، الأمانة العلمية والعملية، الصبر وتحمّل الصعاب، الشجاعة والجرأة. أُنظر: المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة: ص٢٠٥ ـ ٢٠١٣.

(٤) الأحزاب: آية٣٩

العدد السادس والعشرون ـ السنة السابعة ـ ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

أوَ ليس من المفترض أن يكون متحلّياً بالصفات الأخلاقية الحسنة؛ حتى يعظم قدره عند الناس، وتكون له مقبولية أكبر، فإنّه من على منبره دائماً يعظ الناس، ويأمرهم بالتحلّي بما أمر الله تعالى من الصفات الحسنة، وينهاهم عن الصفات السيّئة، ومع عدم امتثاله هو شخصياً لهذه الأُمور سوف يكون فاقداً لها، وفاقد الشيء لا يُعطيه[1]، وفي هذه الحالة يكون المبلّغ الحسيني قد أفقد منبره الحضور بين الناس، والقابلية على نشر التعاليم الدينية، كما أنّه بفعله هذا قد أضعف الدين في أعين الناس، وجعله لقمة سائغة للتنكيل والإشكال من قِبل بعض المتصيّدين في الماء العكر، والمشكّكين في قابليته لتنظيم حياة الناس.

وفي مقام معالجة هذه السلبية نقول: إنّ المبلّغ الرسالي الذي أوقف نفسه لخدمة النهضة الحسينية التي هي صمّام الأمان لبقاء الدعوة الإسلامية، ينبغي أن يعي حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنّه في مقام إعمالها بحاجة إلى إرادة وحزم كبيرين، كما ينبغي له أن يضع نصب عينه جميع الوصايا والعبارات التي تنهاه عن أن يقول ما لا يفعل، من قبيل:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[2].

وقوله أيضاً: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[3].

وقولهﷺ في ذيل الآية أعلاه[4] بحسب ما نقله صاحب تفسير مجمع البيان:

(١) أُنظر: المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة: ص٢٠٤.

(٢) الصف: آية٢ـ٣.

(٣) البقرة: آية٤٤.

(٤) أي: آية٤٤ من سورة البقرة، التي قال الشيخ القمّي حول شأن نزولها بأنّها: «نزلت في القُصّاص والخُطّاب، وهو قول أمير المؤمنينعليه السلام: وعلى كل منبر منهم خطيب مِصْقَعٌ يكذب على الله وعلى

«مررت ليلة أُسري بي على أُناس تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممّن كانوا يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم»(١).

ولشدّة قبح هذا الفعل وشناعته فقد أصبح محلّ نقدٍ للشعراء؛ إذ نجد أنّ أبا الأسود الدؤلي ـ مثلاً ـ قد أنشد:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

ابدأ بنفسك وانهها عن غيّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ(٤)

وأنشد سعيد الواعظ أيضاً:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو عليلُ(٥)

وخلاصة الحديث في المقام أنّ المبلّغ الحسيني (الرسالي) يجب عليه أن يبدأ ـ أولاً وقبل كل شيء ـ بتهذيب نفسه، ومَن يقع تحت مسؤوليّته، ثُمّ يخرج إلى الفضاء الاجتماعي للقيام بالتثقيف الديني والإصلاح السلوكي.

النقطة الرابعة: ضعف المعلومات لدى المبلّغ الحسيني

من العوامل المهمّة في نجاح المبلّغ الحسيني، سواء في مجال الخطابة أم الشعر، هو غزارة المعلومات، والاطّلاع الكافي على كل ما يتعلّق بالقضية الحسينية، مضافاً إلى غير ذلك من المعلومات الدينية التي يحتاج إليها الخطيب في عملية الوعظ والإرشاد، أو المعلومات التي يحتاج إليها الشاعر في تهذيب مخيّلته الشعرية وتصحيحها(٤).

رسوله وعلى كتابه». القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج١، ص٤٦.

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١، ص٢١٥.

(٢) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب: ج٨، ص٥٦٩.

(٣) قبش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي: ص١٥.

(٤) أُنظر: معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، دروس في فنّ الخطابة: ص٢٣ـ ٢٤.

وفي المقابل نجد أنّ المبلّغ الحسيني صاحب المعلومات المتواضعة لا يستطيع كسب ثقة الناس[1]؛ وذلك لشعورهم بأنّ ما يطرحه على المنبر قد لا يكون صحيحاً؛ نتيجة لفقره من الناحية المعرفية، وبالتالي عدم قدرته على التأثير في نفوس الحاضرين، وحملهم على ما يُراد منهم بترغيبهم وإقناعهم واستمالتهم، مما لا يمكن الوصول إليه إلّا بإيجاد عدّة لغات، وخاصّة في هذا العصر الذي تقدّمت فيه العلوم بشتّى صنوفها، واستُحدِثت فيه وسائل التواصل التي حوّلت العالم الفسيح إلى قرية صغيرة يتواصل أفرادها فيما بينهم بالصوت والصورة[2].

ونتيجة لذلك؛ فإنّ المبلّغ المشار إليه سوف يؤثّر سلباً في الهدف المفترض ترتّبه على منبره، كما أنّه يخلق انطباعاً لدى الناس بأنّ المنبر الحسيني غير قادر على النهوض بالواقع المعرفي لديهم، وبالتالي عدم صلاحيّته للتبليغ والإرشاد الدينيين.

وفي مقام الوقاية من هذا الأثر السلبي أو معالجته، فإنّه لا مناص للخطيب من توسعة دائرة معلوماته، وذلك من خلال مراجعة المصادر المهمّة حول الثقافة الإسلامية: كـ «**القرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، والفقه وأُصوله، والقواعد الفقهية، والسيرة النبوية، وعلم العقائد الإسلامية... إضافة إلى العلوم الإنسانية الاجتماعية، والمذاهب المعاصرة الهدّامة، والمعارف المعاصرة... والشبكة العالمية (إنترنيت)، وغير ذلك**»[3].

أمّا بالنسبة للشاعر الحسيني فمن المفترض أن يكون مُلمّاً بجميع الأشعار التي جسّدت مأساة واقعة كربلاء، والأحداث التي سبقتها وتلتها، وأن يكون مطّلعاً على ثقافة المجتمع الذي احتضن أحداث الواقعة، وثقافة المجتمع المعاصر، وسائر مشاكله السياسية والاقتصادية وغيرها؛ وذلك لكي تبتعد أشعاره عن الخرافات والأساطير،

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٥.

(٢) أُنظر: أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص٨١.

(٣) المصدر السابق: ٧٩.

وتُحاكي هموم الأفراد المعاصرين، وتكون وسيلة إعلامية لإيصال صوتهم في حال وقع الحيف والظلم عليهم.

النقطة الخامسة: عدم مراعاة المُلقي لمستوى حال المخاطَبين وظروف حياتهم

من الأُمور التي ينبغي أن يتحلّى بها كل داعية هي مراعاته لمستوى حال مخاطَبيه وظروف حياتهم؛ وذلك لكي يحصل شعور لديهم بأنّ كلمات هذا الداعية وإرشاداته هي لمصلحتهم، وفيها سعادتهم، ومن هنا نجد أنّ القرآن الكريم يجعل قضية مراعاة مستوى حال المخاطَب من القضايا المهمّة والحسّاسة التي ينبغي أن يتوافر عليها جميع الرسل عليهم السلام؛ إذ يقول (عزَّ من قائل): ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]، والمعنى: «**أنّ دعوة الأنبياء لا تنعكس في قلوب أتباعهم بأُسلوب مرموز وغير معروف، بل كانت توضَّح لهم من خلال التبيين والتعليم والتربية، وبلسانهم الرائج**»[2]، كما ورد في الحديث الشريف أنّ رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله قال: «**إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلّم الناس على قدر عقولهم**»[3].

وبضميمة الآية الكريمة إلى الحديث الشريف يمكننا أن نخرج بنتيجة، وهي: أنّ الأنبياء والرسل في مخاطبتهم للناس كانوا يراعون اللغة التي يتكلّم بها مخاطبوهم، مضافاً إلى ثقافة الحوار، أي: القوالب التي يمكن من خلالها إيصال المعلومة إليهم، مع المحافظة ـ طبعاً ـ على حقّانية دعوتهم، وخلوّها من الخرافات، والقضايا الكاذبة التي تُلازم بعض أنواع الحوار.

ومن هنا؛ فإنّ الخطيب الحسيني مُلزَم بأن يسير على وفق هذه القاعدة الحوارية؛

(١) إبراهيم: آية ٤.
(٢) الشيرازي، ناصر مكارم (وآخرون)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٧، ص٤٥٥.
(٣) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٣٧.

باعتبار أنّه يسير على وفق نهج الأنبياء والصلحاء في الدعوة إلى الدين الحقّ، ومن دون ذلك ربما لا تصل المطالب التي كان بصدد بيانها من على منبره إلى أذهان الناس بصورة واضحة ودقيقة؛ ممّا يفقد المنبر حيويّته وتفاعله، وصولاً إلى ضعف دوره وقدرته على هدايتهم وإصلاح حالهم.

كما ينبغي الالتفات إلى نكتة مهمّة في المقام، مضافاً إلى مراعاة مستوى حال المخاطَبين، وهي مراعاة ظروفهم، وما يعانونه، بمعنى أنّ المبلّغ ـ خطيباً كان أو شاعراً أو رادوداً ـ ينبغي أن يكون على بيّنة فيما يرتبط بالظروف والمشاكل التي يعانيها مخاطَبوه، وذلك حتى يكون مضمون كلامه وشعره منصبّاً على تقديم المعالجات لتلك المشاكل، وإلّا فسوف يكون منبره بعيداً عن هموم الناس، ممّا يفضي في نهاية المطاف إلى يأسهم من قدرة هذا المنبر على مسايرة الحركات الإصلاحية التي قام بها الأنبياء والأوصياء والصلحاء.

وعلى الرغم من كون هذا الأمر من الواضحات التي يُسلّم بها جميع العقلاء، إلّا أنّه يمكننا أن نذكر شاهداً يدعم مدّعانا في المقام، وهذا الشاهد هو قضية النزول التدريجي للقرآن الكريم، والذي استمر طيلة ثلاث وعشرين سنة، من الحياة المباركة للرسول الكريم محمدﷺ، فإنّ واحدة من الحِكَم المذكورة في المقام، هي: «**أنّ التشريعات إذا كانت تتنزّل بشكل تدريجي تبعاً للحاجات، ويكون لكل مسألة شاهد ومصداق عينيّ، فستكون مؤثرة جداً من ناحية (تلقّي الوحي) وكذلك (إبلاغ الناس)**»[1]، ثمّ إنّ مراعاة الظروف والحاجات يكون له دور كبير في مسألة التبليغ والإرشاد.

وفي مقام حثّ الخطيب على ضرورة مراعاة مستوى حال مخاطَبيه، فإنّنا نُلفت نظره إلى ما قاله بعض الباحثين حول فنّ الخطابة، حيث ذكروا أربعة أهداف أساسية للخطاب، هي[2]:

---

(١) الشيرازي، ناصر مكارم (وآخرون)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١١، ص٢٤٧.

(٢) أُنظر: كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة: ص١٣٩ـ ١٤٠.

١ـ إيضاح شيء ما.

٢ـ التأثير والإقناع.

٣ـ الحثّ على التحرّك.

٤ـ التسلية.

ومن الواضح أنّ الهدف الأساسي للخطاب هو الإيضاح الذي يتأتى مع مراعاة مستوى حال المخاطَبين، فإنّه مع ذلك تكون «**لديهم الرغبة في السماع أولاً، والمتابعة ثانياً، والفهم، وهو المقصود أخيراً**»[١].

أمّا فيما يتعلّق بمراعاة ظروف الناس واهتماماتهم الحياتية، فذلك أمر ينبغي أن يكون نصب عين المبلّغ الحسيني في مختلف فعاليّاته التبليغية، فإنّه عندما يتحدّث من على المنبر مع الآخرين، أو يُلقي عليهم شعراً، ينبغي له أن يُحسّسهم بأنّه مهتم بهم، كما أنّه ينبغي أن يدرك هذه الحقيقة الخطيرة، وهي: «**إنّ سبب إخفاق الكثيرين في أن يُصبحوا محدّثين جيّدين، هو حديثهم عن الأشياء التي تُثير اهتمامهم فقط، وربما يكون هذا مملاً للآخرين**»[٢]؛ لذا ينبغي للمبلّغ الناجح أن يستدرج «**الشخص الآخر** [المستمع] **للتحدّث عن اهتماماته وعمله وأهدافه...**»[٣].

المحور الثاني: العوامل المتعلّقة بالمادة التي تُلقى على المنبر الحسيني والمؤثّرة في تضييع وتشويه هدفه الرسالي

تُعتبر المادة الخطابية أو الشعرية التي تُلقى على المنبر ركناً أساسياً، فهي البضاعة التي يواجه بها المبلّغ الحسيني جمهوره، ويسعى من خلالها إلى تحقيق الهدف الرسالي الذي يتوخّاه، فالمادة المنبرية هي الرسالة التي تُبرز دور الدين، وتبيّن مكانته في حياة

---

(١) المصدر السابق: ص١٤٢.

(٢) المصدر السابق: ص١٥٦.

(٣) المصدر السابق.

الناس، ومن هنا؛ كان من الضروري وضع اليد على بعض العوامل التي من شأنها إضعاف هذه المادة، والتقليل من تأثيرها في أذهان المستمعين، وهذه العوامل يمكن أن نجملها ضمن عاملين أساسيين، يرتبط أحدهما بطريقة العرض للمادة العلمية، وهما:

١ـ **العامل المنهجي**: سنتحدّث في هذا العامل عن أنّ عدم اتّباع المبلّغ للمنهجية الصحيحة في عرض المادة التي يروم إلقاءها على المنبر، سيؤدي إلى عدم مقبوليتها عند المستمعين، أو لا أقل التقليل من حظوظ مقبوليتها لديهم.

وقبل أن نقوم ببيان المنهجية الصحيحة نود الإشارة إلى أنّ حديثنا سوف يقتصر على المادة الخطابية الملقاة من على المنبر؛ وذلك لأنّ الهدف من المادة الشعرية الرثائية هو تهييج العواطف والمشاعر نحو القضية الحسينية[1]، وهذا الهدف يستتبع الرصانة والدقة من الناحية المحتوائية أكثر من الناحية المنهجية، أضف إلى ذلك أنّ هناك اهتماماً والتزاماً كبيرين من قِبل الخطباء والرواديد ـ نتيجة كثرة المعاهد الحسينية والدورات الخاصّة بهذا المجال ـ بكيفية الإلقاء الصحيح للمراثي واللطميات الحسينية.

نعم، من المفترض أن تشتمل المادة الخطابية على منهجية صحيحة، تساعد الخطيب على إيصال مطالبه إلى مستمعيه بسلاسة، وهذه المنهجية عبارة عن اشتمال الخطبة على ثلاثة أقسام أو مراحل، هي:

١ـ **المقدّمة**[2]: وهي عبارة عن مدخل للخطبة، يأتي بها الخطيب ليمهّد لأفكاره ويوهم السامعين؛ ليستثير انتباههم.

---

(١) «الرثاء: تعبير عن عاطفة إنسانية جيّاشة، تفيض بالألم، ولوعة لا يرقى إليها الشك، تتوضّح من خلالها صلة الشاعر المرتبطة بالمرثي». إبراهيم، صاحب خليل، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام: ص١٠٦.

(٢) ممّا يجدر لفت النظر إليه هو أنّ بعض الباحثين قد قسّم المقدّمة بلحاظ ضرورة إيرادها وعدم ذلك على أربعة أقسام، هي: ١ـ ضرورة ذكر المقدّمة. ٢ـ عدم ضرورة ذكر المقدّمة، لكنّ ذكرها مفيد. ٣ـ ذكر المقدّمة يكون على خلاف البلاغة. ٤ـ ذكر المقدّمة يستتبع إيقاع الحاضرين في المشقّة والضرر. ثمّ إنّ الباحث في المقام قد أورد مثالاً توضيحياً لكل واحد من الأقسام المذكورة. اُنظر: بيشوايي، مهدي، بايدها ونبايدها خطابه، (ما ينبغي وما لا ينبغي في الخطابة)، مجلة مبلّغان: ص٥٢ـ ٥٥.

٢ـ **الإثبات (عرض الموضوع)**: وهو عبارة عن مجموعة من الأدلة التي يسوقها الخطيب لإثبات مدّعاه، أو لإبطال حجج الخصم والقضاء على دعواه.

٣ـ **الخاتمة**: وهي عبارة عن موجز لما ألقاه الخطيب، وتوضيح كامل لغايته ومراده(١).

فإنّ إهمال الخطيب لهذه المنهجية وهذا التسلسل المنطقي في طرح الأفكار يؤدي في أغلب الأحيان إلى صعوبة تلقّي الحضور للمطالب الملقاة في المقام، وبالتالي التقليل من حضور المنبر ودوره الفعّال بين الناس، وانحصار هدف الحاضرين في البركة الحاصلة بسبب ذكر مصائب سيّد الشهداء عليه السلام في واقعة الطف.

ومن هنا؛ فعلى الخطيب الساعي إلى ترتّب الهدف الرسالي على منبره، أن يراعي المنهجية الصحيحة التي تتأتى من خلال استماعه لمحاضرات خطباء كبار؛ يتعرّف من خلالها على كيفية تسلسلهم في طرح البحوث، ومراعاة انسجام ذلك مع طبيعة المواضيع المبحوثة، كما أنّه على الخطيب كذلك أن يكون له حضور جاد في الدورات التي تُقام من أجل تعليم كيفية إلقاء المحاضرات المنبرية، أضف إلى ذلك أنّه من المفترض ـ في حالة الإمكان ـ اطّلاعه على نوعية المستمعين، وطبيعة تلقّيهم لموضوع محاضرته، والظروف الزمانية والمكانية لمكان الإلقاء. وبكلمة جامعة: على الخطيب أنّ يعي «**إنّ الخطبة وإلقاءها ليست عملية سهلة وهيّنة، وليست مجرّد كلام يقال دون ترتيب، أو تبويب، أو تنظيم، ولكنّها أمر شاقّ، يحتاج إلى وقت وجهد كاملين... فالخطبة لا بدّ أن تكون متسلسلة منظّمة، وأن تكون واضحة البيان في أُسلوبها، حتى يقتنع المستمع، وتستميله بأدلّتها، وتؤدي الغرض منها**»(٢).

٢ـ **العامل المحتوائي**: يُشكّل المضمون أو المادة العلمية والفكرية والثقافية والأدبية الركيزة الأساسية التي يبتني عليها المنبر الحسيني، ويعتمد عليها المبلّغ في

(١) أُنظر: أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص٤٧ـ ٤٩.
(٢) أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص٤٧.

مواجهة الجمهور؛ ومن هنا نجد أنّ المناطقة قد عبّروا عن المادة التي تتألف منها الحجّة الإقناعية في مجال الخطابة بالعمود[1]، وعبرّوا عن الكلام المخيّل في الشعر بالعمدة[2]، أي: إنّ المادة في كل واحدة من الصناعتين هي الأداة التي يوظّفها المبلّغ من أجل ربط الجمهور بمعطيات النهضة الحسينية؛ وبالتالي فلا بدّ أن تكون بمستوى يليق بهذه النهضة وصاحبها.

إنّ الحسين عليه السلام هو ممثّل عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الحركة التغييرية في المجتمع الإسلامي، والشخص الذي يعتلي المنبر هو في الواقع ممثّل عن الحسين عليه السلام، فلا ينبغي أن يبتعد في أُطروحاته وأشعاره عن الحقّ الذي سار عليه الرسول وأهل بيته عليهم السلام، «**فإنّ تحرّي الصدق في كل ما يُذكر على المنبر، وفي كل ما ينقله الخطيب في مواعظه وخطاباته أساس نجاح قراءة العزاء، وبلوغها أهدافها الموسومة لها، من حمل الأُمّة على فهم الخطّ الحسيني الثوري فهماً صحيحاً، يدفعها للوقوف بجانب الحقّ، ورفض الظلم... وعلى خلاف ذلك إيراد القصص الكاذبة والحكايات الباطلة، وتصوير ما حصل في كربلاء بصور مضخّمة، تسيطر عليها المبالغات والتهويلات**»[3].

إذاً، فمادة المنبر ـ في حال لم يتم بناؤها على أساس الحق والصدق ـ ستكون عاملاً مضرّاً بأهداف النهضة الحسينية، بل إنّها ستوجّه الضربة القاضية لهذه الحركة التغييرية، وتقتلعها من جذورها في قلوب الناس كافّة[4]، فإنّ هناك قسماً من الناس «**يتربّص بالمنبر، لعلّه يُمسك زلّة من الزلّات، يتّخذ منها مادة للتهريج، وينسى جميع إيجابيات المنبر وجهاده في سبيل العقيدة والدعوة إلى الله تعالى**»[5]، وبما أنّ البحث في المقام مبني على الاختصار، فإنّنا نُحيل القارئ العزيز إلى مراجعة المصادر التي استعرضت جملة

---

(١) أُنظر: المظفّر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٥.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٦٥.

(٣) النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص٥ـ٦.

(٤) أُنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص٦.

(٥) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٤.

من الأحداث والوقائع، أو التحليلات المتعلّقة بواقعة كربلاء، والتي يتم ذكرها على المنبر من دون أن يكون هناك دليل على صحّتها وثباتها[1].

ولعمري، فإنّ الخطر الذي يُحدق بالمنبر الحسيني، ويؤدي إلى تشويه أو ضياع هدفه الرسالي جرّاء هذا العامل المخرّب والهدّام واضح جداً، وأوضح منه ضرورة التحرّك الحثيث والسعي الجاد من أجل الوقاية من هذا الوباء الفتّاك أو معالجته، فإنّ ما يُتراءى للبعض من حاجتنا في بلورة النهضة الحسينية إلى مثل هذه الادّعاءات والافتراءات محض توهم، فإنّ «**واقعة كربلاء من أغنى الوقائع التاريخية المدعّمة بالوثائق والأسناد المعتبرة... فالمؤرّخون الإسلاميون المعتبرون دوّنوا ونقلوا لنا وقائع عاشوراء بالأدلة والوثائق الدامغة منذ القرن الأول والثاني، والروايات الواردة في هذا الشأن إمّا متطابقة أو قريبة جداً من التطابق مع بعضها البعض**»[2].

ومع هذه الحقيقة فهل يُعذَر المبلّغ الحسيني في ذكره قضايا بعيدة عن الصحة والثبات على المنبر، أوَليس فعله هذا مخالفة واضحة للمنهج الذي سار عليه الأنبياء عليهم السلام في مقام تبليغهم للرسالات الإلهية؟! فإنّ المطالع للآيات القرآنية يجد أنّ هناك صفتين رئيستين قد اقترنتا برسالة الأنبياء، وهما صفتا الصدق والأمانة، وهذا واضح جداً من قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[3]، الذي ورد في قصّة كل من أنبياء الله تعالى: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب)، كما قرن الله تعالى هذه الصفة أيضاً برسالة نبي الله موسى عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ

(١) أُنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص٢١٠ ـ ٢١٦. مطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج١، ص١١ـ ٢٢ وص٥١ـ ٧٠. إسفنديازي، محمد، عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة، مجلة نصوص معاصرة: العدد ٩، ص١٧ـ ٢١، وص٢٤ـ ٣٠.

(٢) مطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج١، ص٢٢ـ ٢٣.

(٣) الشعراء: آية ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨.

﴿فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ۞ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾[1].

أمّا فيما يتعلّق بفضيلة الصدق، فنجد أنّ الله تعالى قد وصف بها مجموعة من أنبيائه، وهم كل من (إبراهيم[2]، وإسماعيل[3]، ويوسف[4]، وإدريس[5])، ناهيك عن أنّ النبي الخاتم محمداً صلى الله عليه وآله، المتحلّي بأحسن الصفات الروحية والأدبية والأخلاقية والبدنية، قد برزت له ـ من بين جميع ذلك ـ صفتا الصدق والأمانة، بحيث أصبح يُلقّب بـ(الصادق الأمين)؛ وما ذلك إلّا للأثر الكبير الذي يترتّب على هاتين الصفتين في مقام ظهور دعوته صلى الله عليه وآله وانتشار رسالته، وأنّ فقدانهما موجب للريب والشكّ باتّصاله بالله عزّ وجلّ[6].

وبناءً على جميع ما تقدّم؛ فعلى المبلّغ الحسيني (خطيباً كان، أو شاعراً، أو رادوداً) أن يحذر أشدّ الحذر من جعل منبره ساحة للأساطير والخرافات، والأحاديث غير الثابتة، بأيّ واحدة من الطرق العقلائية، كما أنّ عليه أن يُوسّع من دائرة معلوماته؛ حتى لا يقع في الضيق والحاجة إلى الكلام بأُمور لا ينبغي طرحها على المنبر.

ومن هنا ولأجل إيقاف الناس على مصلحة دينهم ودنياهم، ذكر بعضٌ أنّ الخطيب الواعظ ـ والكلام يشمل المبلّغ الحسيني عموماً ـ لا بدّ: «**أن يكون علمه بالمباني الدينية كافياً، ولا بدّ أن تكون معرفته بالإسلام كاملة، مطّلعاً على روح التعاليم الإسلامية، عليه أن يعرف ظاهر الإسلام، وباطن الإسلام، وقشور الإسلام، ولباب الإسلام، كلّاً في مكانه وموضعه، لكي يعرف ما معنى المصلحة الدينية. ثمّ إنّ مجرّد**

---

(١) الدخان: آية ١٧ـ١٨.
(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾. مريم: آية ٤١.
(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾. مريم: آية ٥٤.
(٤) كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ ...﴾. يوسف: آية ٤٦.
(٥) كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾. مريم: آية ٥٦.
(٦) أُنظر: العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ج٢، ص١٠٧ـ١٠٨.

معرفة الدين لا تكفي لتبيان المصالح، بل عليه أن يعرف المجتمع، وأن يطّلع على أوضاع الدنيا، وعلى ما يجري فيها، ليُدرك أين مصلحة المجتمع الإسلامي اليوم...»[1]. فإنّ المبلّغ الحسيني مع توفّره على هذه المعرفة الواسعة سوف لا يحتاج إلى ملء مادة منبره بالأُمور الباطلة أو غير الثابتة.

وأخيراً، فإنّه من الآليات المهمّة في الحدّ من تفشّي هذا الأثر السلبي، هو وجود جهة تُراقب ما يُطرح على المنبر، وتقف في مواجهته عندما يكون عائقاً أمام تحقّق الهدف الرسالي المنشود، وهذه الجهة لا يمكن أن تكون غير المرجعية الرشيدة، وما تمتلكه من وكلاء ومعتمدين منتشرين في أرجاء العالم الشيعي، فإنّها صمّام الأمان لحفظ أهداف المنبر الحسيني من التشويه والضياع، فما نأمله في المقام هو أن تسعى المرجعية الرشيدة مضافاً إلى ما تقوم به من مؤتمرات توجيهية قبل مواسم التبليغ إلى مراقبة ما يُقال على المنابر الرئيسة في كل منطقة تقع تحت نظرها، وتنبيه المبلّغين المقصّرين، واتّخاذ الإجراءات اللازمة في حال عدم توقفهم عن ذلك.

وفي هذا الصدد نجد السيّد الشهيد محمد باقر الصدرﭪ يقول بشأن ضرورة وجود هكذا أمر: «**أن تكون لهم مؤسّسة مركزية يصدرون عنها في مناهج موحّدة، وتوجيهات تصدر لهم في ذلك، كما تعمل هذه المؤسّسة على التعريف بهم في داخل العراق وخارجه، ممّا يُعطيهم زخماً ومكانة معترف[2] بها، وتكون المؤسّسة تحت ظلّ المرجعية**»[3]، وقد شاطر السيّد الشهيدﭪ في هذه الرؤية المهمّة الشيخ الوائليﭫ، وذلك عند حديثه عن المؤسّسة المؤهّلة لبناء المنبر[4].

---

(١) مطهّري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص٢٢٢.

(٢) هكذا وردت الكلمة في المصدر المنقول عنه، والصحيح فيها: معترفاً (بالنصب).

(٣) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١١١، نقلاً عن السيّد الشهيد محمد باقر الصدرﭪ.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٦١ـ ٦٤.

المحور الثالث: دور المحيط في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

يتألّف المحيط الذي يمارس فيه المبلّغ الحسيني وظيفته المنبرية من قسمين رئيسين، هما:

١ـ المهتمّون بالطرح المنبري (الجمهور المتلقّي).

٢ـ الظروف والأوضاع التي تُحيط بالمنبر.

ويمكن تقسيم الجمهور الذي يتلقّى ما يُطرح على المنبر ويهتم به على قسمين فرعيين، هما:

١ـ المهتمّون بالمنبر من الشيعة.

٢ـ المهتمّون بالمنبر من غير الشيعة[1].

ومن هنا؛ فإنّه توجد لدينا ثلاثة أقسام تُشكّل المحيط الذي يواجهه المنبري، الذي ينبغي له أن يكون على دراية تامّة بالعوامل المؤثّرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي لمنبره، والمرتبطة بأيّ واحد من الأقسام المذكورة في المقام؛ وذلك من أجل القيام بالحدّ منها وعلاجها. وبناءً على ما تقدّم فإنّ حديثنا في هذا المحور سيكون في ثلاث نقاط:

النقطة الأُولى: المهتمّون بالمنبر من الشيعة وأثرهم في تضييع وتشويه هدفه الرسالي

إنّ المهتمّين بالمنبر من الشيعة هم في الحقيقة يشكّلون القسم الأكبر والأكثر تأثيراً من بين الأقسام التي يتألّف منها المحيط الذي يواجهه المنبر الحسيني؛ وذلك لأنّ المبلّغ يكون دائماً في مواجهة مباشرة أو شبه مباشرة مع هذا النوع من المتلقّين، كما أنّه بصدد توظيف خطبه وأشعاره الرثائية في إقناعهم وتهييج نفوسهم وعواطفهم، وبالتالي

(١) المصدر السابق: ص١٣، نقلاً عن السيّد الشهيد محمد باقر الصدر ﴿قدس سره﴾.

فأيّة سلبية في المقام سوف تكون عائقاً مباشراً أمام المبلّغ الحسيني في تأدية مهمّته الرسالية. ويمكن تقسيم جمهور المهتمّين بالمنبر من الشيعة على ثلاث فئات، هي:

الفئة الأُولى: وهم الذين يطمحون إلى أن يكون المنبر وسيلة إعلامية ثقافية حضارية، تتحرّك على وفق ضوابط علمية محدّدة، وخالية من الثغرات والمفارقات، أمّا مسألة البكاء واستشعار المصيبة جرّاء ما حصل في واقعة الطفّ، فهي قضيّة ثانوية لا ينبغي التركيز عليها بشكل كبير، فالمهم في المقام هو تصدي المنبر الحسيني لحل مختلف المشاكل التي يعانيها الواقع الشيعي.

الفئة الثانية: وهم الذين يرون أنّ المنبر الحسيني هو وسيلة للحصول على الثواب من خلال مواساة أهل البيت عليهم السلام فيما وقع عليهم من مصائب ومحن، وعليه فإنّ المبلّغ الحسيني الناجح برأيهم هو القادر على جعلهم يعيشون تفاصيل التجربة العاشورائية، وكذا سائر التجارب الأليمة التي مرّ بها عموم أهل البيت عليهم السلام، فنراهم مهتمّين بشكل كبير بكون المبلّغ يمتلك صوتاً شجياً وبراعة كبيرة في تصوير الأحداث، وأمّا قدرته العلمية في توضيح المطالب الدينية فهي قضية ثانوية، بل هامشية.

الفئة الثالثة: وهم الذين يجمعون بين طموح كلتا الفئتين أعلاه، فهم يرون أنّ الإمام الحسين عليه السلام الذي قال عن نفسه: «**أنا قتيلُ العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا استعبر**»[1]، هو بنفسه صاحب الكلمة الخالدة التي رسمت الهدف الأخلاقي لحركته عليه السلام، والتي قال فيها: «... **وأنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مُفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب...**»[2].

وبعبارة أُخرى: إنّ هذه الفئة ترى أنّ العَبرة الحسينية لا بدّ أن تكون في مصبّ

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٠٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

بناء مكارم الأخلاق، وأن تتناغم مع أهداف الرسالة المحمّدية، وهذا الأمر لا يتأتّى إلّا من خلال التفاعل مع القضية التي استُشهد من أجلها سيّد الشهداء عليه السلام، كما أنّ تفعيل دور البكاء ـ في المقام ـ لا يؤدّي مفعوله في النفس إلّا إذا عرف الإنسان آثاره الإيجابية، وسعى إليه، وتفاعل مع القضية التي بكى من أجلها، باعتبار أنّ البكاء باب من أبواب الفضيلة والكمال الإنساني(١).

وبعد أن بيّنا طبيعة كل واحدة من الفئات الثلاثة نقول: إنّ هذا الاختلاف الحاصل بين شرائح المتلقّين الشيعة نفسه هو عامل سلبي، وله آثار مخرّبة، تؤدّي إلى تشويه أو تضييع الهدف الرسالي للمنبر الحسيني؛ وذلك لأنّ الاختلاف المذكور هو نتاج منظومات فكرية مختلفة، وسوف يكون مستتبعاً لاختلاف مزاجي بين الفئات الثلاثة، ويكون له تأثير كبير في شخصية المبلّغ الحسيني الذي يرتقي المنبر، ونوعية الرسالة التي يطرحها؛ ممّا يجعل بعض المبلّغين ينصاعون لتحقيق رغبة الفئة الأكثر تفاعلاً، أو الأكثر حضوراً، وذلك على حساب الهدف الرسالي المرجو من المنبر الحسيني.

نعم، قد يقول قائل: إنّ سعي المبلّغ الحسيني من خلال منبره لتحقيق الرغبة الجماهيرية سوف يكون وسيلة إلى تحقيق الهدف الرسالي، وإنّ أيّة مكانة أو وجاهة يحصل عليها من خلال الجماهير لا تكون عائقاً أمام تحقيق ذلك الهدف.

وهنا نقول: ربما يُتصوّر أنّ جعل الرغبات المذكورة وسيلة لتحقيق الهدف الرسالي للمنبر كلام مقبول وصحيح بحسب ظاهره، إلّا أنّه بعد التأمّل والتدقيق يمكننا أن نوجّه إليه ملاحظات عدّة، هي:

١ـ إنّ هذا الحديث لا يشمل جميع المبلّغين، فمنهم مَن يبحث عن الثروة ووفرة المال، ومنهم مَن يبحث عن الوجاهة، ومنهم مَن يلجأ إلى بعض الأساليب المريحة

---

(١) أُنظر: السند، محمد، بحوث معاصرة في الساحة الدولية: ص٩٥ ـ ٩٦.

بسبب الفقر العلمي الذي يعانيه، وقد بيّنا هذه الأُمور في المحور الأول من هذه الدراسة.

من هنا؛ فإنّ وجود هذا التعدّد المزاجي قد يكون عاملاً قوياً إلى سعي أُولئك المبلّغين إلى تحقيق ما يصبون إليه، وذلك على حساب ضياع أو تشويه الهدف المرجو ترتّبه على منابرهم، وهنا بودّي أن أُذكّر القارئ الكريم بالقاعدة الأساسية التي بيّنها الإمام زين العابدين عليه السلام(1)، والتي تتلخّص في أنّ المنبري ينبغي له أن يُحقّق أولاً وقبل كل شيء رضا الخالق، وبعد ذلك يسعى إلى تحقيق رضا المخلوق، فإذا كان الداعي الأوّل للمبلّغ الحسيني هو تحقيق الرضا الإلهي، فسيكون ذلك حصناً من الانجرار وراء الرغبات المخرّبة لبعض المتلقّين.

٢ـ ليست جميع رغبات الفئات المذكورة تصبّ في مصلحة الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، فمنها ما يُبعد المنبر بصورة تدريجية عن روح النهضة الحسينية، ومنها ما يحجّم دور المنبر ويحصره في زاوية محدّدة.

فلو أنّنا رجعنا إلى الفئة الأُولى، وتأمّلنا في مطلبها، لوجدنا أنّ طموحها الرامي إلى التركيز على الجوانب المعرفية بكلا بُعديها الديني والعلمي، والتركيز أيضاً على المشاكل التي يعانيها الفرد والمجتمع في حياته اليومية، هو مطلب سامٍ، وهو أيضاً انعكاس حقيقي للهدف الرسالي الذي سعى إلى تحقيقه الأنبياء عليهم السلام من وراء دعواتهم السماوية، إلّا أنّ جعل البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام أمراً ثانوياً، ومطلباً غير

---

(١) ذكر صاحب المناقب وغيره أنّه رُوي: «أنّ يزيد (لعنه الله) أمر بمنبر وخطيب؛ ليُخبر الناس بمساوي الحسين وعلي عليهما السلام وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ أكثر الوقيعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد (لعنهما الله)، فذكرهما بكل جميل، قال: فصاح به علي بن الحسين: ويلك أيّها الخاطب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار، ثمّ قال علي بن الحسين عليه السلام: يا يزيد، ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد؛ فأتكلّم بكلماتٍ لله فيهنّ رضاً، ولهؤلاء الجلساء فيهنّ أجرٌ وثواب...». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٧.

أساسي، قد يزرع في نفوس الأجيال أنّ هذا الأمر غير مهم، ويمكن الاستغناء عنه، في حين أنّه يعتبر: «**من عمدة أقسام الشعائر الحسينيّة كما في كلمات الفقهاء والمحقّقين والمؤرّخين، بل نستطيع أن نسمّيه الشريان الدموي للعديد من الأقسام في الشعائر الحسينية... فإنّ كل هذه الظواهر المختلفة من الشعائر الحسينية، حينما تريد أن تتألّق وتحلّق وتبلغ ذروتها تصل إلى حدّ البكاء، فالبكاء حينما جعلناه قسماً من أقسام الشعائر الحسينية، فإنّه في الحقيقة هو ليس قسماً مقابل الأقسام الأُخرى، بل ربّما جعله بعضهم مَقسماً لأقسام الشعائر الحسينية**»[(١)].

وفي الحقيقة أنّ ربط المنبر الحسيني بالمعارف المتنوعة، وتقديم الحلول الناجعة للمشاكل الحياتية، لا يؤمّنه إلّا البكاء، فإنّنا لو جرّدنا المحاضرات المنبرية عن البكاء أو همّشناه، فسوف نفقد هذه الجذوة العاطفية التي أصرّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام على بقائها واستمرارها، من خلال تشجيعهم المتواصل على إقامة المجالس وإحيائها. ولعمري، إنّ هذه الكلمة المشهورة (الإسلام محمّدي الوجود حسيني البقاء) التي يتناقلها عموم الشيعة هي خير معبّر عن ضرورة عدم التفريط بهذا البُعد العاطفي الناشئ من البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام في منابرنا الرسالية.

أمّا فيما يخصّ الفئة الثانية، فإنّنا وإن كنّا نعتقد أنّ البكاء على مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام، الناتج عن استشعار ما جرى في تلك الواقعة الأليمة يُعدّ عمدة الشعائر الحسينية ولبابها، وأنّ الروايات قد تضافرت في بيان فضله والثواب عليه[(٢)]، إلاّ أنّ هذه الشعيرة المهمّة ليست هي النتيجة الوحيدة المترتّبة على الحركة التغييرية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام بمعيّة أهل بيته وصحبه[(٣)]، وإنّما توجد ـ في المقام ـ نتيجة أُخرى

(١) السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٢٥٥.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٥٦.

(٣) من المهمّ أن ننوّه بأنّنا لسنا هنا بصدد الخوض في النزاع الدائر بين الباحثين حول الهدف من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ضدّ طاغية بني أُميّة يزيد بن معاوية (لعنه الله)؛ وذلك لأنّ هذا البحث

لها الدرجة نفسها من الأهمّية، وهي أنّ استلهام مجريات هذه الحركة التغييرية أصبح مقروناً بحركة رسالية تسعى إلى تهذيب وإصلاح واقع الحياة الدينية للفرد المسلم، والمجتمع الإسلامي بشكل عام، وذلك في مختلف الأبعاد (المعرفية، والسلوكية، والاجتماعية، والسياسية) وغير ذلك، وبالتالي فإنّ المنبر الحسيني الذي هو الوسيلة الإعلامية الأكثر أهمّية في مقام إبراز البُعد الرسالي للنهضة الحسينية، لا يمكن أن نحصره في الحالة العاطفية الحاصلة بسبب استشعار حالة المظلومية والمأساة التي عاشها سيّد الشهداء عليه السلام ومَن معه في فاجعة الطف.

ومن هنا؛ فلا يبقى لدينا إلّا ما رغبت فيه الفئة الثالثة من متلقّي المنبر الحسيني، فهو بحقّ مطلب يصبّ في مصلحة الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، مع عدم إهداره للحالة الروحية الناتجة عن التجربة العاشورائية للمستمعين، هذه التجربة الحاصلة بسبب ما يصوّره الخطباء والشعراء والرواديد، وما يتلونه من قصائد ترثي الحسين عليه السلام ومَن استُشهد معه من أهل بيته وصحبه، أو ما جرى على السبايا بعد يوم العاشر من المحرّم.

النقطة الثانية: المهتمّون بالمنبر من غير الشيعة

لم يكن المنبر الحسيني في فترة من فتراته موضع متابعة أفراد الطائفة الشيعية واهتمامهم فقط، وإنّما يوجد من الطوائف الأُخرى من غير الشيعة مَن يُتابع ويهتم بما يُقال وما يُتلى على المنبر، وهنا يمكننا أن نستفيد من تجربة عميد المنبر الحسيني المرحوم الشيخ أحمد الوائلي في تقسيم هؤلاء النوع من المتلقّين على فئتين، هما:

الفئة الأُولى: وهم الذين يريدون التعرّف على التشيّع عن طريق هذه الفعالية

واسع جداً، ويحتاج الخوض فيه إلى دراسة أكثر شمولاً. نعم، نحن في المقام بصدد الحديث عن النتائج المترتّبة على النهضة الحسينية، تلك النتائج التي من المفترض أن يكون المنبر الحسيني وسيلة لتحقيقها.

المعلَنة التي تُبرز الشيعي في ممارساته العقائدية بوضوح تام، بعيداً عن التستّر والتقية، ممّا يجعلهم يرون ويسمعون ميدانياً كل ما يُنسب لهذه الطائفة من فعاليات يصوّرها بعضٌ أنها لا تلتقي مع تعاليم الدين الإسلامي.

الفئة الثانية: وهم الذين يتربّصون بالمنبر ليُمسكوا بزلّة من الزلّات التي قد تصدر منه؛ وذلك بُغية اتّخاذها مادة للتهريج والتعتيم على جميع إيجابيات المنبر، وجهاده في سبيل العقيدة والدعوة إلى الله تعالى(١).

وفي مقام ارتباط كل واحدة من الفئتين المذكورتين بموضوع البحث نقول: إنّ الفئة الأُولى لا يمكن أن تكون عاملاً مباشراً مؤثّراً في تضييع أو تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، وإنّما ستكون ردّة الفعل الصادرة منها في حال كونها ضدّ أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ناتجة عن عوامل سلبية موجودة في شخصية المبلّغ الحسيني، أو نوعية المحتوى الذي يطرحه على المنبر؛ فإنّ هذين الركنين الأساسيين من أركان المنبر، إذا أصابهما الخلل فإنّ الناتج سيكون هو عدم وصول الصورة الحقيقية للبُعدين المعرفي والسلوكي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبالتالي فإنّ ردّة الفعل الحاصلة لدى أفراد هذه الفئة سيكون سببها ضعف المنبر الحسيني ـ نتيجة العوامل السلبية المذكورة ـ في إيصال رسالته إلى الآخرين من دون نقصان وتشويه، وقد أشرنا بصورة مفصّلة إلى السلبيات التي يمكن أن يُبتلى بها كل واحد من الركنين المشار إليهما في المحورين الأوّل والثاني من هذه الدراسة.

أمّا الفئة الثانية فقد يكون حالها في بعض الأحيان حال الفئة الأُولى، أي: إنّها تنطلق في مقام توجيهها سهام النقد والتجريح للمنبر، وتضعيفها لدوره الرسالي في المجتمع، ممّا فيه من سلبيات، سواء كانت في شخصية المبلّغ الحسيني أم في المادة التي تُطرح على المنبر، وفي هذا الصدد يقول المرحوم الشيخ الوائلي: «**ومن المؤسف أنّ**

---

(١) أُنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٤.

بعض المنابر قد لا يكون متثبّتاً في نقله، أو يكون متسرّعاً في أحكامه، أو ليس على علم بما يعالجه من موضوعات، يوفّر لهذا المتربّص مادة للتهريج، ويتّخذ منه هذا المهرّج تعميماً لا مبرّر له، وينتزع منه أحكاماً، كما ينعت هذا المنبري بنعوت غير صحيحة»[1].

إلّا أنّه وفي أحيان أُخرى كثيرة يكون التهريج الذي يمارسه أفراد هذه الفئة على المنبر الحسيني خصوصاً، وعلى الطائفة الشيعية عموماً، ناشئاً عن حقد وخبث سريرة دفينين، وهذا ما نشاهده كثيراً هذه الأيام على بعض فضائياتهم المغرضة، وشبكات التواصل الاجتماعي لديهم؛ إذ يسعون عبر هذه الوسائل الإعلامية جاهدين إلى تشويه صورة المنبر الحسيني من خلال قيامهم بتقطيع كلام الخطباء، أو الشعراء، أو الرواديد، وأخذهم بالمقاطع التي توحي ـ بعد تجريدها عمّا قبلها وبعدها ـ بالكفر أو الغلو، ونشرها بصورة متتالية في برامج أو فواصل إعلامية معيّنة، وبالتالي فالمنبر بواسطة هذا التدليس المشين سوف يكون وسيلة لإبعاد الناس عن الأخذ برسالة الإسلام الناصع والحقيقي، والهدف الرسالي الذي يسعى المبلّغ الحسيني إلى الوصول إليه من خلال هذه الوسيلة الإعلامية.

ونحن في مقام الوقوف في وجه هذه المكيدة الشيطانية والحدّ من تأثيرها في عقائد الناس نأمل في تحقّق أمرين مهمّين، هما:

١ـ السعي الحثيث من قِبل الجهات المسؤولة والمتصدّية للعمل المنبري (علماء، فضلاء، خطباء، شعراء، رواديد) إلى تعرية هذه الفضائيات، أو وسائل التواصل الاجتماعي والكشف عن زيفها؛ وذلك من خلال متابعتها وبيان مكامن التدليس والتشويه فيما تنشره وتنسبه، مستفيدين من المداخلات التي يقوم بها أشخاص من ذوي الخبرة والكفاءة في كيفية الردّ على مثل هكذا أُمور، مضافاً إلى مقدرتهم العلمية الكبيرة في الدفاع عن المذهب الحقّ.

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٤.

٢ـ الدقّة الكبيرة التي ينبغي أن يتحلّى بها المبلّغون في كل ما يطرحونه على منابرهم، فعليهم أن يبتعدوا عن كل ما من شأنه أن يستغلّه الطرف الآخر في مقام التشهير بالمنبر الحسيني، خصوصاً بعد هذا الانفتاح العلمي في مجال التواصل، وصيرورة العالم بمثابة قرية واحدة، وبعبارة أُخرى: إنّ المبلّغين عليهم أن يعوا حقيقة أنّ المنبر لم يعد حالة خاصّة ومنحصرة في بيئة معيّنة، بحيث يتم ممارستها بصورة عفوية تمتاز بالسهولة والتسامح، وإنّما أصبح بالإمكان تحويله ـ في حال لم يتم ضبطه بدقّة متناهية ـ إلى وسيلة قابلة لأن تُصاغ منها مادة اتّهام للمذهب الشيعي[1].

النقطة الثالثة: الظروف والأوضاع التي تُحيط بالمنبر الحسيني

إنّ المنبر الحسيني باعتباره في مواجهة دائمة مع الجمهور، فهو ـ إذن ـ يعيش في بيئة مجتمعية تشتمل على ظروف وأوضاع معيّنة، يمكن أن تشكّل في بعض الأحيان تحدّيات تُهدّد قدرة المبلّغ الحسيني على أداء دوره الرسالي من خلال منبره، وهذه الأوضاع يمكن تقسيمها على أربعة، هي:

١ـ الوضع الثقافي: وهو عبارة عن التطوّر في مجال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، هذا التطوّر الذي أسهم بشكل فعّال في الانفتاح على مختلف الثقافات والرؤى والأفكار، خصوصاً في مجال الثقافة الدينية التي أصبحت الشمّاعة التي يُعلّق عليها بعضٌ جميع الإخفاقات التي أدّت إلى تقهقر المسلمين وضعف قوّتهم. وبالتالي فإذا لم تكن أُطروحات المنبر الحسيني وغيره من المؤسّسات الدينية الإسلامية مهيمنة على مجمل القضايا الثقافية التي يتم تداولها بين الناس، وذلك من خلال توسعة الدائرة الثقافية والمعلوماتية للمتصدّين في هذه المؤسّسات، فإنّ الدور الرسالي الملقى على عاتقهم سوف يُمنى بالضياع أو التشويه جرّاء الحملات الداخلية والخارجية الرامية إلى عزل الدين عن جميع المفاصل الحيوية في حياة الناس[2].

---

(١) أُنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٥.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٨٣.

٢ـ الوضع السياسي: وهو جملة المضايقات التي تمارسها الحكومات أو بعض الجهات السياسية على المنبر الحسيني، خصوصاً مع ملاحظة القاعدة الجماهيرية التي تتمتّع بها هذه الوسيلة الإعلامية الدينية، فإنّ هذا الحضور الفعّال للمنبر الحسيني بين الجمهور سوف يُثير التخوّف والتحسّس من قِبل بعض الحكومات والأنظمة(١)، أضف إلى ذلك التحزّب والانتماء السياسي لبعض المقيمين للمجالس الحسينية، ممّا ينعكس قهراً على طبيعة الخطاب الديني المنبري الذي يتم طرحه في مجالسهم، وبالتالي فإنّ هذا الوضع بمجمله قد يُشكّل عائقاً أمام حصول الهدف الرسالي للمنبر الحسيني.

طبعاً، إنّ تحلّي المبلّغ الحسيني بالصفات والفضائل الأخلاقية، من قبيل: الشجاعة، والجرأة، والاتّكال على الله تعالى، وكذلك وعيه بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، سيكون ـ ممّا لا شكّ فيه ـ عامل قوّة في مقابل هذا الوضع السياسي المتردّي.

٣ـ الوضع الاجتماعي: تكمن خطورة هذا الوضع في تحجيم الطرح المنبري، وجعله ينسجم مع الأعراف الاجتماعية، والعادات والتقاليد العشائرية، وبالتالي عدم الحرّية الكافية التي ينبغي أن يتمتّع بها المبلّغ الحسيني لتأدية مهمّته الرسالية.

نعم، يمكن التقليل من خطر هذا الوضع من خلال توسعة المساحة التي يشغلها المنبر الحسيني، مع منحه الدعم والإسناد الكافيين من قبل المؤسّسات ذات الشأن في المقام(٢)، والمتمثّلة في المرجعية الرشيدة، وفضلاء الحوزة العلمية المباركة، وشيوخ العشائر المخلصين، وأهل الصلاح والوجاهة من المؤمنين.

٤ـ الوضع الاقتصادي: تعتبر الموارد المالية من الدعامات المهمّة لإقامة المجالس الحسينية، واستقدام المبلّغين الجيّدين، وتهيئة الأُمور اللازمة لمكان إقامة المجلس،

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٨٥.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٨٦.

وجعل الحضور يحظون بمستوى راقٍ من الخدمات، ومن هنا؛ فمع ضمور هذه الموارد، وتلكّؤ الأوضاع الاقتصادية، سوف تضيق مساحة المنبر الحسيني؛ ممّا يؤدي إلى انحسار القدرة على إرساء معالم الهدف الرسالي للنهضة الحسينية[1].

هذا، ويمكننا ملاحظة أمرين مهمّين بشأن هذا النوع من الأوضاع المحيطة بالمنبر الحسيني، وهما:

١ـ إنّ تردّي الوضع الاقتصادي للناس إذا كان يؤدّي إلى التقليل من عدد المجالس الحسينية، أو عدم قدرة بعض الناس على إقامة المجالس، فهذا الأمر لا يرتبط بتضييع أو تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، فمتى ما أُقيم المنبر، وارتفعت سائر العوامل السلبية الأُخرى، فإنّ الهدف سوف يترتّب عليه بلا إشكال، أمّا إذا كان التردّي المشار إليه يؤدّي إلى عزوف بعض المبلّغين الحسينيين الجيّدين، وعدم تأديتهم لواجبهم التبليغي، ممّا يُشكّل صورة سلبية قد تنعكس على رسالة المنبر الحسيني، فإنّ هذا الأمر مرفوض جداً، وهو من العوامل المخرّبة التي تتعلّق بشخصية المبلّغ الحسيني التي تم الحديث عنها في المحور الأول من هذه الدراسة.

٢ـ إنّ ممّا يبعث على الاطمئنان في المقام هو أنّ الشيعة يبذلون دوماً الغالي والنفيس من أجل إقامة المجالس الحسينية، وأنّهم في أحلك الظروف الاقتصادية التي يمرّون بها يواظبون على هذه الشعيرة الخالدة، كما أنّهم يتحمّلون من أجل المشاركة في مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام وسائر المعصومين عليهم السلام أقسى أنواع المتاعب والشدائد.

وبناءً على ذلك؛ فإنّ تحسّن الأوضاع الاقتصادية ممّا يلقي بظلاله على ازدهار المنابر الحسينية، إلّا أنّ انحسار الموارد المالية للشيعة وتردّي أوضاعهم الاقتصادية لا يُعدّ ـ في حدّ ذاته ـ عاملاً مؤثّراً إلى درجة خطيرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني.

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٨٦ـ ٣٨٧.

النتائج

١ـ يسعى القرآن الكريم ـ الذي هو الرسالة الإسلامية الخالدة ـ من خلال ما يشتمل عليه من مضامين دينية ودنيوية إلى تحقيق هدف رئيس ومهم، وهو هداية الإنسان وإخراجه من الظلمات إلى النور.

٢ـ إنّ مهمّة تبليغ الرسالة الإسلامية بنصّ القرآن الكريم قد أُوكلت إلى شخص النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله.

٣ـ إنّ النهضة الحسينية تُعدّ امتداداً للرسالة الإسلامية، وهذا واضح من خلال الهدف الإصلاحي الذي أعلنه الحسين عليه السلام، وكذلك إصرار الأئمّة عليهم السلام على إحياء ذكرى عاشوراء في كل عام.

٤ـ إنّ المنبر الحسيني هو العامل الحيوي والفعّال في دوام النهضة الحسينية واستمرارها.

٥ـ من الممكن أن يُبتلى المنبر الحسيني بمجموعة من العوامل التي من شأنها تضييع أو تشويه هدفه الرسالي، وهذه العوامل قد تكون متعلّقة بشخصية المنبري، من قبيل: عدم رعايته للفنّ الذي يمارسه على المنبر، وانجراره وراء المكاسب الدنيوية (المادية)، وعدم تحلّيه بالفضائل الأخلاقية، وغير ذلك، وقد تكون العوامل المؤثّرة ـ المشار إليها ـ متعلّقة بالمادة الملُقاة على المنبر، سواء من جهة عدم امتلاكها للمنهجية الصحيحة في العرض، أو من جهة ضعفها من ناحية المحتوى. ثمّ إنّه يوجد صنف آخر من العوامل المؤثّرة ينبثق من المحيط الذي يُقام فيه المنبر، وهذه العوامل تتعلّق تارةً بجمهور المنبر من الشيعة، وتارةً أُخرى بالمهتمّين بالمنبر من غير الشيعة، وتارةً ثالثة بالأوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تُحيط بالمنبر.

٦ـ ومع ملاحظة العوامل المذكورة في النقطة السابقة فعلى المبلّغ الحسيني أن يسعى جاهداً إلى رفع تلك العوامل، وذلك من خلال إصلاح نفسه من الناحيتين المعرفية والأخلاقية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ أُصـول المحاضرات، السيّد كامـل الهاشـمي، مؤسّسـة أمّ القرى للتحقيـق والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢ـ الأمثل في تفسـير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي (وآخرون)، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم المقدّسة، ط١، ١٤٢١هـ.

٣ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: جمع من المحقّقين، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤ـ بحـوث معـاصرة في السـاحة الدوليـة، محمد السـند، مركـز الأبحـاث العقائدية، قم المقدّسة ـ إيران، ط١، ١٤٢٨هـ.

٥ـ بـين المنـبر والنهضة الحسـينية، مرتضى مطهّري، دار الإرشـاد، بـيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٦ـ تجـاربي مع المنبر، أحمد الوائلي، مؤسّسـة النـبراس للطباعة والنـشر والتوزيع، النجف الأشرف ـ العراق.

٧ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الحسن بن علي، المعروف بابن شعبة الحرّاني، تحقيق: علي أكبر غفّاري، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة ـ إيران، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٨ـ تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي، تحقيق: الطيّب الموسوي الجزائري، دار الكتاب، قم المقدّسة ـ إيران، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٩ـ خزانـة الأدب، عبـد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

١٠ـ الخطابـة بـين العلـم النظري والفـنّ التطبيقـي، عبد الرحيم أرشـد، جامعـة العلوم الإسلامية، ماليزيا، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١١ـ الخطابـة بـين النظريـة والتطبيـق، محمـود محمـد محمـد عـمارة، مكتبة الإيـمان للنشر

والتوزيع، المنصورة ـ مصر، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
١٢ـ الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي، حميد المبارك، بيت العلم للنابهين، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
١٣ـ دروس في فنّ الخطابة، معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
١٤ـ الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محمد السند، دار زين العابدين عليه السلام.
١٥ـ الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفّار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٦ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيّد جعفر مرتضى العاملي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدّسة ـ إيران، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٧ـ الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، صاحب خليل إبراهيم، اتّحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٠م.
١٨ـ طريق الخطابة الحسينية، حسن الكندي، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.
١٩ـ فقه الرضا، علي بن بابويه القمّي، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدّسة ـ إيران، ط١، ١٤٠٦هـ.
٢٠ـ فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، دار الاعتصام.
٢١ـ فنّ الخطابة، ديل كارنيجي، الأهلية، ط١، ٢٠٠١م.
٢٢ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد المعروف بابن قولويه، تحقيق: عبد الحسين الأميني، دار المرتضوية، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ١٣٩٧هـ.
٢٣ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، ط٢، ١٤١٠هـ.
٢٤ـ اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، حسين النوري الطبرسي، تعريب: إبراهيم البدوي، دار البلاغة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٥ـ المبسوط، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: محمد علي الكشفي، المكتبة الرضوية لإحياء آثار الجعفرية، ١٣٨٧هـ.
٢٦ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: محمد جواد البلاغي، منشورات ناصر خسرو، طهران ـ إيران، ط٣، ١٤١٣هـ.
٢٧ـ مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش، دار الرشيد، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٨ـ الملحمة الحسينية، مرتضى مطهّري، الدار الإسلامية.
٢٩ـ المنبر الحسيني نشوؤه حاضره آفاق المستقبل، فيصل الخالدي الكاظمي، دار المحجّة البيضاء، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
٣٠ـ المنطق، محمد رضا المظفر، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة ـ إيران.
٣١ـ نهج البلاغة، تحقيق صبحي صالح، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
٣٢ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن أحمد السمهودي، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

المجلات

٣٣ـ بايدها ونبايدها خطابه (٢) (ما ينبغي وما لا ينبغي في الخطابة)، مهدي بيشوايي، مجلة مبلّغان، ١٣٨٦ش.
٣٤ـ عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة (تعدّد الأهداف الوسائل)، محمد اسفنديارى، ترجمة: محمد عبد الرزاق، مجلة نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
٣٥ـ فقه الإعلام (المنبر الحسيني نموذجاً)، السيّد محمود المقدّس الغريفي، مجلة الإصلاح الحسيني، مؤسّسة وارث الأنبياء ـ العراق، ١٤٣٤هـ.
٣٦ـ منبر؛ نقش ارتباطات وعوامل اجتماعي مؤثر در تبليغ جهره به جهره، أحمد حسين زاده، مجلة معرفة، ١٣٨٢ش.